أجهزة الدفاع الرومانية في السهول العليا الشرقية لنوميديا

الأستاذ دكتور/ محمد الحبيب بشاري

قسم التاريخ– جامعة الجزائر 2

الملخص:

شهدت الزّراعة الرّومانية ابتداء من القرن الثاني قبل الميلادي تراجعا خطيرا، ممّا تسبّب في أزمة غذائية حادّة، دفعت السّلطة إلى الاعتماد على مقاطعاتها في تموين السّوق الرّومانية وتوفير الغذاء المجاني للعاطلين، لهذا ولحماية الأراضي الزراعية الخصبة التي استولت عليها، أقامت عدّة أجهزة دفاعية، كوّنت في مجموعها خطوط اللّيمس.

وخاصة في منطقة السّهول العليا الشّرقية لنوميديا التي كانت تكوّن خزّانا هاما للحبوب والزّيت.

وقد تنوّعت الأجهزة الدّفاعية من الطّرقات الإستراتيجية، والمراكز العسكرية، والخنادق، بالإضافة إلى المزارع المحصّنة. فما هي هذه الأجهزة في جنوب السّهل العليا المحاذية لمناطق انطلاق الثّوار في الجبال والصّحراء؟

تبنت روما ابتداء من نهاية القرن الثالث قبل الميلاد سياسة توسعية في حوض البحر الأبيض المتوسط، لذلك دخلت في حروب طويلة ضد الكثير من الشعوب أعنفها تلك التي خاضتها ضد مقدونيا وقرطاجة، وقد حتّمت عليها هذه الحروب تجنيد الآلاف من الرومان الذين ينتمون إلى طبقة المزارعين الصغار والمتوسطين، الذين يكونون عماد الزراعة الغذائية من جهة والجيش الروماني من جهة أخرى، ورغم أن روما خرجت منتصرة من حروبها إلا أن انعكاسات ذلك على حياتها الاقتصادية والاجتماعية كانت كارثية، فمن جهة تسبب تجنيد المزارعين لمدة زمنية طويلة في خلو الريف الروماني من اليد العاملة الزراعية، مما

نتج عنه إهمال جزء من الأراضي وتوقفها عن الإنتاج، في نفس الوقت استغل أفراد الطبقة النبيلة غياب المزارعين الصغار والمتوسطين للاستحواذ على أراضيهم ، واستغلالها بواسطة العبيد في الزراعات النقدية .

إلى جانب ذلك تعودت روما مصادرة أراضي الشعوب التي تهزمها في الحروب و تحولها إلى ملكية عامة للشعب الروماني ، توزع الجزء الخصب منها عادة على أفراد الطبقة النبيلة، وابتداء من قيام الإمبراطورية أصبح الإمبراطور أول المستفيدين من مساحات شاسعة يكون فيها الضيعات الواسعة (Latifundia) أو يمنحها لمقربيه، إلى جانب تكوين مستعمرات لمواطنين رومان أو قدماء المحاربين.

كما تعودت روما فرض غرامات عينية ونقدية على الشعوب المهزومة كتعويض عما أصابها من خسائر في الحرب. وبصفة عامة نتج عن التوسع الروماني في أراضي حوض المتوسط ما يلي:

ـــ انهيار الزراعة الايطالية وخاصة زراعة الحبوب التي تكون الغذاء الأساسي للمواطنين الرومان، بسبب انهيار الزراعة وتدفق إنتاج المقاطعات ومنافسته الإنتاج المحلي.

ـــ عجز الزراعة الإيطالية على تلبية حاجة السوق الرومانية بالمواد الغذائية.

ـــ انتشار البطالة في أوساط المزارعين الصغار و المتوسطين بعد فقدانهم لأراضيهم وهجرتهم نحو المدن الكبرى، وخاصة نحو روما، حيث كانوا يعيشون في البطالة لعدم توفر الشغل الذي استحوذ عليه العبيد، و بالتالي عدم قدرتهم على توفير غذائهم ، مما دفعهم إلى ممارسة كل أعمال العنف، وبذلك أصبحوا مصدر تهديد للأمن و الاستقرار في روما، ولهذا شعرت الطبقة الحاكمة بالخطر على مصالحها ومستقبل الدولة الرومانية، لذلك وللحفاظ على السلم

الاجتماعي أخذت توفر لهم الغذاء بأسعار مدعمة في مرحلة أولى، ومجانا في مرحلة ثانية.

لكن من أين كانت روما توفر الحبوب التي تضخها في السوق سواء لبيعها أو تقديمها مجانا ؟

أمام تعقد مشكلة نقص الغذاء ، توجهت روما نحو الأراضي التي استولت عليها في حروبها وحولتها إلى مقاطعات، ووجهت اقتصادها لتلبية حاجياتها، ومنها مقاطعات المغرب القديم وهذا للتشابه الكبير بينها وبين شبه جزيرة إيطاليا من حيث المناخ ونوع الزراعات الممارسة (حبوب، زيتون وكروم ...)، وكذلك لسهولة الاتصال بها لقربها منها حيث لا تتجاوز المسافة 140كلم عبر مضيق صقلية. ومن أهم المناطق التي سخرتها روما لخدمة مصالحها الغذائية منطقة السهول العليا الشرقية لنوميديا مثل سهول سطيف، قالمة ، سوق أهراس وقسنطينة ... التي تكونت بها المستعمرات بمختلف أصنافها مثل مستعمرات قدماء المحاربين ، بالإضافة إلى تأسيس أفراد الطبقة النبيلة والإمبراطور للضيعات الواسعة، وهو ما تؤكده الآثار المادية، منها ضيعة ماتيداي (Paccanis Matidiae) جنوب شرق إيجلجلي، والتي تبرز الآثار أنها ملكا لحفيدة الامبراطور تراجانوس[1]، ومستعمرة سطفيس لقدماء المحاربين التي أسست من طرف الامبراطور نرفا (Nerva) بين 96 و98م.، ومستعمرة كابوت صالتوس هوريوروم (Caput saltus horreorum/ عين زادة) الواقعة على بعد 20 كلم جنوب غرب سطفيس على ضفاف وادي بوسلام[2] وغيرها من الضيعات و المستعمرات التي تعد بالعشرات في هذه لمنطقة. ونظرا للمساهمة

1) T.P. segment III, col. 1, dans , Reygasse (M) , Recherches des antiquités dans le nord de l'Afrique , Paris,1890 ,
2) Gsell (S) , Atlas Archéologique d'Algerie , Alger , 1997

الكبيرة لهذه الأراضي في تموين روما سعت هذه الأخيرة لحمايتها من كل الأخطار المحدقة بها .

إن الأراضي الزراعية للسهول العليا الشرقية تتميز بأنها مجاورة لمناطق خطيرة حيث نجدها محاطة بمرتفعات جبلية ذات غطاء غابي كثيف تكون وكرا للثوار من الأهالي، وكذلك محاذية للصحراء التي ينطلق منها الرافضون للوجود الروماني لغزو المراكز الاقتصادية الرومانية ، بالاضافة إلى البدو الرحل الذين يتسببون في أضرار كبيرة للمزارع المنتشرة على خط ترحالهم في فصل الصيف الذي يتزامن مع نضج الحبوب .

نتيجة للوضع سالف الذكر عملت روما على حماية مستعمراتها و مراكزها الحضرية والاقتصادية بإقامتها جهاز دفاع تنوعت مكوناته حسب درجة الخطر والتضاريس، كونت في مجموعها ما يعرف بخط الليمس . من هذا نستنتج أن خط الليمس هو مجموع الأجهزة التي أسستها روما في مقاطعاتها المختلفة ومنها نوميديا لتحمي ممتلكاتها وتفصل بينها وبين المناطق الخارجة عن نطاقها، وتتمثل في الطرقات الاستراتيجية والمراكز العسكرية والخنادق والتحصينات. وسنتناول في هذا البحث إلى هذه الأجهزة في منطقة السهول العليا الشرقية لنوميديا و محيطها لمدى أهمية هذه المنطقة بالنسبة لروما.

أولا : خط الليمس

أقامت روما في المنطقة الساحلية خطا دفاعيا لحماية مراكزها في الشمال وهذا لتأمين شحن المنتجات الزراعية النوميدية نحو ميناء أوستيا ، دعّمته بخط دفاعي ثاني بهدف حماية الأراضي الداخلية و هو يمتد من زراية (Zarai/ زراي) إلى أوزيا (Auzia / سور الغزلان) مرورا بسطفيس وسهل مجانة .

ـــ الخط الدفاعي الداخلي

يمتد هذا الخط في جزءه الشرقي من زراية شرقا إلى أوزيا (Auzia / سور الغزلان) غربا مرورا بسطفيس (Sitifis /سطيف) و مراكز أخرى، وهو الخط الذي يعيده لابلانشير (La Blanchere)[1] إلى عهد الإمبراطور سبتيموس سيفروس، على أساس إنعدام الآثار الأدبية والأثرية ، التي تؤكد عكس ذلك، لكن هذا الاحتمال مستبعد لعدة أسباب ، أولها أنه لا يمكن أن يترك الأباطرة الرومان منطقة ذات أهمية اقتصادية، واستراتيجية ، مثل سهلي سطفيس ومجانة دون وسائل دفاع ، في مستوى الخطر الذي يحدق بهما ، من الشمال والغرب والجنوب، خاصة أنه تم تحديد أراضي قبيلة نوميدية من طرف الامبراطور هادريانوس (Hadrianus)[2]، الذي أقام في نفس الوقت حصن رابدوم (Rapidum / سور جواب)[3] غرب مجانة.

لقد ارتبط تاريخ أوزيا بالوضع العسكري في المنطقة في بداية القرن الثاني ميلادي، وخاصة سياسة الأباطرة الأنطونيين التوسعية في السهول العليا الشرقية، و قد أهلها موقعها فوق هضبة يصل ارتفاعها 880 متر أن تكون مركزا عسكريا رومانيا مهما في شرق نوميديا ، وساعدها غنى إقليمها ووفرة مياهها أن تتحول إلى مدينة كبيرة نسبيا[4].

وتعد سطفيس بفضل موقعها شمال السهول العليا مركزا دفاعيا مهما، أقيم فوق هضبة يصل ارتفاعها إلى 1100 متر، وهو ما يسمح له بمراقبة كل المنطقة الممتدة جنوبه حتى جبل بوطالب، وغربه حتى سهل مجانة .

---

1) شنيتي (م.ب.) ، موريطانيا القيصرية، دراسة الليمس و مقاومة المور، أطروحة دكتوراه الدولة ، الجزائر ، 1992 ، ص، 174.

2) C.I.L.VIII, 8813 ; 8814

3) C.I.L.VIII, 20833

4) شنيتي (م.ب.) ، المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص، 200

وفي غرب سطفيس نجد مركز تاملولة (Thamallula/ عين تومالة أو رأس الوادي)، الذي ورد ذكره أحيانا تحت اسم (Respublica Thamallulensium)[1]، الذي يقع في سهل صغير حول عين غزيرة ضمن أملاك الإمبراطور،كما يستدل من اسمه[2]، بالمجرى الأعلى لوادي القصب شمال جبال الحضنة الخطيرة ، و قد تطور مع مرور الوقت بشريا وعمرانيا ، مما دفع بالإمبراطور كركلا إلى رفعه إلى درجة البلدية[3]، وهو ما جاء في نقيشة تعود إلى سنة 215م. ينعت فيها سكانه أنفسهم بالأنتوننيانيين(Antoniniani)[4].

بعد هذا المركز نجد لاملاف (Lemellef/ برج غدير)[5]، وهو مركز يقع في السفح الشمالي لجبل بوزيان، بالمجرى الأعلى لوادي القصب، ويتحكم في الممر الواقع بين جبل مزيتا ومرتفعات برج بوعريريج ، الذي يمثل طريق قوافل البدو القادمة من و إلى زابي[6]، لذلك نستنتج أن دوره كان حماية الأراضي

---

1) جاء هذا المركز كذلك تحت اسم (municipium castellum Tamannuna) Gsell (S), Atlas Archéologique d'Algerie, Alger , 1997, f, 26, n° 19 , Table de .Peutinger, dans Reygasse (M), Reygasse (M), Recherches des antiquités dans le nord de l'Afrique, Paris,1890, p, 234

2) شنيتي (م.ب) ، المرجع السابق ، ص، 174 ؛ Gsell(S) , op cit , f, 12, n° 19

3) شنيتي (م.ب.) ، المرجع السابق

4) Gsell (S) , loc cit,

5) ذكر هذا المركز كذلك تحت اسم (Lemelli praesidium) Ibid, f, 26 , n° 3 ؛ T.P., op cit, p, 234 ; Poule (A) , Inscription de la Mauretanie et de la Numidie , R.S.A.C.,1876/77, p, 612 ; Cagnat (R) , Cagnat (R), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs , Paris, 1909.

Castellum Lemelense (, p, 612 كما كتب كاستلوم لملانس

6) Despois (J), Le Hodna Etude géographique, Paris, 1953, p. 287

الزراعية في الشمال ومراقبة تحركات الأهالي في جبل بوطالب وبدو الصحراء، وقد تحول بعد ذلك إلى مقر قائد فرقة حرس الحدود[1].

بعد لاملاف وفي اتجاه الغرب نجد إكويزتوم (Equizetum / أولاد عقلة)[2] التي تقع في السفح الشمالي الغربي لجبل المعاضيد ، بالمجرى الأوسط لوادي القصب عند مدخل الممر الواقع بين الجبل سالف الذكر و ونوغة، و هذا ما جعل منها مركزا دفاعيا مهما[3]، يحمي سهل مجانة و يؤمن المواصلات في الطريق الربطة بين تاملولة و أراس [4].

ج ــ الخط الدفاعي الجنوبي

إذا ركز الخط الدفاعي الثاني ، على حماية الأراضي الزراعية و المعمرين، ومراقبة تحركات الأهالي ، بفتح طرقات مدعمة بوسائل دفاع مناسبة في النقاط الحساسة،فإن الهدف من إقامة خط الليمس الجنوبي، هو إتمام الحصار المفروض على سكان الجبال و الجنوب، بفتح طرقات استراتيجية، و إقامة مراكز عسكرية و نقاط رصد، و بمعنى آخر سعي الرومان إلى إقامة منطقة عازلة بينهم و بين مناطق الخطر.

يرتكز هذا الخط على الطريق الرابطة بين كلاس(Cellas / خربة زرقة)[5] زرقة)[5] وأوزيا (Auzia/ سور الغزلان)، التي تمر جنوب جبال تاشريرت، وبوطالب والمعاضيد، وونوغة، ويعد مركز كلاس إحدى أهم مرتكزاته[6]، والتي والتي يظهر من إسمه أنه كان مركزا دفاعيا محصنا، ومخزنا للحبوب يقع ضمن

---

1) شنيتي (م.ب.) ، المرجع السابق.

2) Gsell (S) , op cit, f, 15, n° 91

3) Baradez (J) , Fossatum Africae , Paris, 1949, Carte en Annexe

4) شنيتي (م.ب.) ، المرجع السابق

5) Gsell (S) , op cit, f, 26, n° 135

6) C.I.L.,VIII, 8777

أملاك الإمبراطور[1] شمال سهل الحضنة الشرقي على وادي بوجدير، الممر الرئيسي بين جبلي تاشريرت وبوطالب[2] المؤدي إلى الشمال، وقد عثر هناك على آثار رومانية تمتد على مساحة 14 هكتارا[3].

يتمثل دور كلاس الاستراتيجي في منع سكان الجبال من التوجه إلى السهول الجنوبية، وسكان الصحراء من الالتحاق بالسهول العليا.

بعد كلاس نجد حصن ماكري (Macri oppidum/ هنشير رمادة)[4]، رمادة)[4]، التي كانت مركزا زراعيا محصنا إذ عثر في موقعها على آثار منشآت ري، مثل قنوات نقل المياه[5].

يقع هذا المركز في سفح جبلي شارة و مغرة على ضفاف وادي رمادة شمال الحضنة، على هضبة ارتفاعها 890 متر[6]، وقد أهلها موقعها أن تحمي الأراضي الزراعية الواقعة على ضفاف الوادي سابق الذكر، وسهل الحضنة من جهة، ومراقبة الأهالي المقيمين في جبل بوطالب الجنوبي، فضلا عن تأمين المواصلات على طريق كلاس زابي و غلق ممر وادي سوبلة في وجه البدو الرحل، الذين يأتون من منطقة بريكة للانتجاع في سهل تومالة صيفا[7].

ثم نجد زابي(Zabi oppidum / بشيلغا)[8] التي تعد مركزا محصنا تقع وسط أملاك إمبراطورية ، على الضفة اليسرى لوادي القصب بحوض الحضنة،

1) Gsell (S) , loc cit
2) Despois (J) , op cit$ p, 290
3) Baradez (J) , op cit, p, 91
4) Gsell (S), op cit, f, 26, n° 111
5) Julius Honorius , edit , Geographi latini minores , edit.Riese
6) Baradez (J) , loc cit
7) Despois (J) , op cit, p, 287
8) Julius Honorius , loc cit ; I.A. Item a mileum caesare; Gsell (S) , op cit, f, 25, n° 85

أسست في عهد الأسرة الانطونية[1]، بهدف مراقبة ممر وادي القصب الواقع بين جبل المعاضيد وونوغة[2]، بالاضافة إلى حماية الأملاك الامبراطورية والمعمرين بالمنطقة، ومع تأزم الوضع تحولت إلى مركز للدفاع عن الحدود، إذ كانت مقرا لقائد حرس الحدود في ذلك القطاع (Praepositus limites Zabensis)[3]. و بهذا المركز اكتملت محاصرة جبل الحضنة من الجنوب و مراقبة وادي القصب في كل أقسامه.

غرب زابي تقع مدينة أراس(Aras / تارمونت)[4] جنوب جبل ونوغة عند عند مخرج وادي سفار الذي يعد ممرا عبر الجبل المذكور أعلاه، يربط بين حوض الحضنة و منطقة برج البحيرة، و تدل الآثار أن أراس لعبت دورا عسكريا حيويا ، بحيث احتوت على حصن كبير بلغ طوله 200 متر و عرضه 170 مترا و سمك سوره تراوح بين 2.15 و 2.5 مترا، و علوه 2.60 مترا[5]، و في الربع الأول من القرن الثالث أشرف وكيل الإمبراطور اسكندر سيفروس على ترميمه[6].

إن هذا المعسكر يتمتع بموقع حيوي إذ يشرف من جهة الجنوب على حوض الحضنة، ومن جهة الشمال على جبال ونوغة، التي يهدد سكانها أمن واستقرار الرومان، بالإضافة إلى كونها تكون حلقة أساسية في طريق زابي و أوزيا[7].

---

1) Gsell (S) , op cit, f, 25, n° 10
2) Baradez (J) , loc cit
3) Notitia Dignitatum , occid.XXV, 26; Gsell , op cit, f, 25, n° 85
4) Julius Honorius , loc cit ; Gsell (S) , op cit, f, 25, n° 10
5) Gsell (S) , loc cit
6) شنيتي (م.ب.) ، المرجع السابق ، ص، 219
7) Cagnat (R) , op cit, p, 617

يأتي بعدها مركز تاتلتي (Tatilti /عراس)[1] الذي يعود تاريخ تأسيسه إلى سنة 198م.[2]، وهو يتميز عن باقي المراكز، بموقعه البعيد عن الطريق الإستراتيجية الرابطة بين كلاس وأوزيا، وبذلك تشكل طريق بين أراس وعرايس انحرافا لطريق أراس. أوزيا بكيفية لا تخطر على بال[3]، وهذا بهدف إكمال الحصار المفروض على جبل الحضنة من جهة الجنوب الغربي، لذلك أقيم فيه حصن تمركزت به الكتيبة الخلكدونية الرابعة (Cohors IV Chalcidenorum)[4].

2 ــ المراكز العسكرية

لم يكتف الرومان بالطرقات الاستراتيجية والمراكز الدفاعية التي أقيمت عليها فقد دعّموها بمراكز دفاعية أخرى انتشرت بين الخطوط الدفاعية الثلاثة، لكنها اختلفت عن المراكز سابقة الذكر بعدم توسعها وتحولها إلى مراكز حضرية، وهذا لمواقعها الوعرة الغير مناسبة لاستقرار الإنسان، بحيث نجدها في قمم الجبال والممرات التي تعبرها، وقد أقيمت بغرض تأمين المواصلات والتّصدي لكل الأخطار وإشعار المراكز العسكرية الكبرى بالخطر الداهم، ومن هذه المراكز ما أقيم على طريق سطيف جيجل عبر جبال تامزقدة، ومنها مركز القصر[5] على السفح الجنوبي للجبل المذكور وعلى ارتفاع 827 مترا، أين عثر على آثار حصن[6].

---

1) C.I.L.VIII, 10438 ; I.A. , loc cit, ; Gsell (S) , op cit, f, 15, n° 39
2) A.E. 1937 , n° 157

3) شنيتي (م.ب.)، المرجع السابق، ص. 224.

4) نفسه.

5) Salama (P) , Salama (P) , Les voies romaines de Sitifis à Igilgili , un exemple de politique routiere approfondie , An.af., t, 16, 1980, p, 106 ; Gsell (S) , op cit, f, 16, n° 168
6) Poule (A) , A travers la Mauretanie Setifienne, R.S.A.C., n° 7, 1863 , pp, 605/606

كما أقيم في السفوح الشمالية لجبل تامزقدة مركزان آخران، الأول في مشتة الترفية[1] التي تحتوي على آثار حصن صغير والثاني في قرية كوديات أو مزار الستيرة التي تقع على ارتفاع 854 مترا، والتي بدورها تضم آثار حصن صغير تقدر أبعاده بخمسة عشر مترا على ستة أمتار، وهما يتمتعان بموقعين يسمحان لهما بمراقبة كل المنطقة الممتدة شمالا حتى ما وراء وادي جنجن، وشرقا حتى غابة تامزقدة[2].

يضاف إليهما مركز بني عجيز الذي يقع شمالهما، والذي يحتوي على آثار تعود إلى عهد سبتموس سيفروس وكاركلا[3].

لقد نجح الرومان بهذه الاستراتيجية، من محاصرة جبل تامزقدة من الشمال والجنوب، وفتحوا عبرها طريقا تسمح بتحرك قواتهم عند الضرورة، وبهذا حققوا هدفين في نفس الوقت هما: حماية طريق سطيف جيجل من جهة، ومراقبة تحركات الأهالي وحماية غرب نوميديا من جهة أخرى.

وتشير المصادر الأثرية إلى وجود طريقين يربطان مدينتي سطيف وبجاية، ويعتقد وجود طريق ثالثة، وقد جهزت كلها بعدة مراكز عسكرية لتأمين المواصلات بها، وضمان وصول المواد الزراعية من السهول الداخلية إلى ميناء بجاية، ومن هذه المراكز ليسبي (Lesbi / عين دكوار)[4]، الواقع في السفح الجنوبي لجبل تاكنتوش أين عثر على آثار رومانية، كما يحتمل أن تكون آد

1) Gsell (S) , op cit, f, 7 , n° 82
2) Salama (P), op cit, pp. 110/112
3) Ibid, pp, 112/113
4) Leschi(L), Excursion archéologique dans le Guergour (été 1938), Etude d'epigraphie d'archéologie et d'histoire, Paris, 1957, p. 237; Gsell (S.), op cit, f, 16, n° 5

أولفام (Ad Olivam / ونداجة) الواقعة جنوب غرب الجبل المذكور أحد المركز العسكرية الأخرى، بحكم العثور في هذا الموقع على آثار رومانية[1].

كما وجد مركز آد سافا مونكبيوم (Ad sava municipium / حمام قرقور)، الذي كان يؤمن الطريق الرابطة بين سطيفس وتوبوسكتو(تيكلات)[2]. إضافة إلى إقامة حصن أكوا فريجدا (Centenarium aqua frigida/ كفريدا) المكلف بحماية طريق ليسبي (عين دكوار) موسلوبيوم (Muslubium سيدي ريحان).

هذا بالنسبة للقسم الشمالي للسهول العليا الشرقية، أما في قسمها الجنوبي فقد سارت روما على نفس النهج، بحيث أكثرت من المراكز العسكرية ونقاط الرصد في الأماكن الحساسة مثل المرتفعات والممرات الجبلية ومصادر المياه، وفي هذا السياق أقيم مركز كيتوفاكتانس (Castellum / citofactense عين سلطان)[3]، على الطريق الرابط بين سطفيس وكلاس المارة شرق جبل يوسف، أما جنوبه فنجد مركز بردكاس (Perdices/ خربة المعذر)[4]، الذي يوجد وسط الممر الرابط بين الشمال والجنوب، والمار بين سبخة حاميات في الشرق وجبل سخرين في الغرب، ويتمثل دوره في مراقبة تحركات الأهالي من السكان المقيمين في الجبال، ومنع تسرب سكان الجنوب نحو السهول العليا، وحماية طريق سطفيس أوزيا وسطفيس بردكاس (Perdice)[5]. ونجد جنوبه مركز عين أزال، أين عثر على آثار حصن روماني[6]، وجنوب هذا الأخير بحوالي أربع كيلومتر أقيم حصن يتوسط جبلي

1) Ibid, f, 16, n° 6
2) Baradez (J), Fossatum africae, Carte en annexe
3) Gsell (S) , f,16, n° 391
4) Ibid, f, 26 , n°40/42
5) Baradez (J) , loc cit
6) Ibid

بوطالب و بلزمة ، و آخر على بعد كيلومترين منه ، يعتقد أنه مركز آد كابسوم جولياني (Ad capsum juliani /عين غيغبة)[1] وهذين الأخيرين يقعان في طريق القوافل، وسط الممر الواقع بين جبلي تاشريرت وبوطالب[2]. ولدعم خط فرعون المحاصر لجبل بوطالب، و منع قوافل الجنوب من التوجه نحو الشمال، عبر وادي سوبلة ، أقامت السلطة الرومانية مركز هنشير جريات[3]، وعلى بعد 4.5 كيلومتر جنوبه، أقامت مركز هنشير باجور[4].

أما الطريق الرابطة بين سطفيس وماكري (Macri / هنشير رمادة)، والمارة غرب جبل يوسف، فالوضع فيها لا يختلف عن الطريق السابقة، فالمراكز العسكرية منتشرة في جميع الأماكن الحساسة، فغرب جبل يوسف يقع حصن ديانسس (dianense Castellum/غلال)[5]، وجنوبه حصن تيت...(Castellum Thib...) الذي عثر فيه على نقيشتين[6] تعود الأولى الأولى إلى عهد الامبراطور ألكسندر سيفروس، والثانية إلى عهد غورديانوس (Marcus antonius Gordianus) تشير إلى توسيع المركز. وجنوب هذا الأخير وجد مركز لوبرنانسس (Lobrinenses /عين معفر) الواقع غرب جبل ذراع الوسط أين وجدت آثار حصن روماني[7] مكلف بمراقبة المناطق الجبلية المجاورة.

وفي أقصى جنوب غرب جبل بوطالب، عند مصب وادي سوبلة أقيم مركز رأس سيسلي[8] بالإضافة إلى كل ما سبق ذكره، نسجل وجود عدة مراكز

1) Gsell (S) , op cit, f, 26, n° 69
2) Baradez (J) , op cit, p, 332
3) Ibid,
4) Ibid, p, 334
5) Gsell (S) , op cit, f, 16, n° 368
6) C.I.L.VIII, 20487; Baradez (J) , loc cit
7) Gsell (S) , f, 26, n° 35
8) Baradez (J) , op cit, p, 85

مراكز أخرى ثانوية، منها مركز أقيم في قمة جبل ذراع الوسط[1] وثلاثة مراكز لمراقبة جبل تاشريرت من الشمال الشرقي والشرق والغرب[2]، بهدف منع أي إتصال بين سكان هذا الأخير وسكان جبل بلزمة، وتأمين طريق لامسبا (Lamasba/ مروانة) تاملولة، زيادة عن مركزين في جبل دزالز[3]، دون أن ننسى المراكز التي أقيمت على طريق بجاية سور الغزلان و تيكلات[4].

خندق جبل بوطالب

إلى جانب كل هذه الوسائل والأجهزة الدفاعية، ولتدعيم سلطتها حاصرت روما جبل بوطالب بخندق[5]، في محاولة منها محاصرة المنطقة الجبلية التي التي تكون حسب رأي مختصيها وكرا للمتمردين.

إن هذا الجهاز ليس خندقا بالمعنى اللغوي ، إذ يختلف تكوينه من مكان إلى آخر، حسب طبيعة التضاريس التي أنجز فيها ليكون أكثر ملائمة لطبيعة المنطقة، فكان أحيانا على شكل خندق يتراوح عرضه بين أربعة و عشرة أمتار، وأحيانا أخرى دعم بجدار على أحد جوانبه أو من الجانبين ، بعرض يتراوح بين ثلاثة وستة أمتار، وفي المناطق الصخرية التي يصعب حفرها اكتفى الرومان ببناء جدار من الحجارة [6]، وأضيفت له أبراج و نقاط رصد، اختير لها عادة أماكن تسمح برؤية جيدة ولمسافات بعيدة. وبالنسبة للمراكز المنخفضة التي لا تسمح برؤية لمسافات بعيدة، أقام الجيش الروماني أبراجا متدرجة في المناطق المرتفعة ليسهل الاتصال بين مختلف وحدات المراقبة[7]، بالاشارات على

1) Ibid , p, 92
2) Ibid , pp, 333/334
3) Ibid
4) Gsell (S.), op cit, f, 7, n° 27
5) Baradez (J.), op cit, p, 85
6) Baradez (J.), op cit, p, 69
7) Ibid, p, 36

طريقة شاب (Chappe)*. فقد كتب فلافيوس فيجيتيوس (Flavius Renatius Vegetius) في القرن الخامس: "ترفع أو تنزل رافدات فوق أبراج القصور والمدن، وبهذه الطريقة تنتقل الأخبار من مركز إلى آخر"[1]، و في حالة الخطر يمكن إعلان حالة الاستنفار عن طريق إشعال النار فوق الأبراج .

وبالنسبة للخندق فقد استطاع جون باريديز (Jean Baradez) تحديد كثير من أجزاءه بصورة دقيقة[2]. فهو ينطلق من خربة الخرس على وادي برهوم[3] في اتجاه الشرق، مسايرا السفوح الجنوبية لجبل بوطالب، وقد وجدت في هنشير باجور آثار حصن بيزنطي[4]، في هذا المستوى ينحرف الخندق في اتجاه الشمال الشرقي ليمر بين جبلي تاشريرت وبوطالب، أين يوجد هنشير جريات[5]، وابتداء من هذه النقطة يدعّم الخندق بجدار و هو الجزء المعروف باسم خط فرعون[6]، ثم يواصل في نفس الاتجاه حتى شمال شرق جبل بوطالب وشمال غرب جبل تاشريرت، حيث أقيم مركز دفاعي عثر على بقاياه على بعد أربعة كيلومتر جنوب عين آزال، أين تختفي آثار الخندق. ويعتقد جون باريديز أنه يتفرع إلى جزئين، يتجه الأول نحو الشرق ، بينما يتجه الجزء الثاني نحو الغرب ويمر بين جبلي تافليوت وحجار، ويستمر تقدمه في نفس الاتجاه متبعا

---

*) شابي كلود (Chappe Claude) مهندس فرنسي من مواليد 1763، اخترع التلغراف الهوائي، الذي يسمح بنقل الأخبار عن طريق الاشارات، Dictionnaire universelle des noms propres , Paris, 1987, p, 374

1) Ginther (P), L'occupation romaine de l'Afrique du nord de la region de Setif, Constantine , 1940 , p, 42
2) Ibid, pp, 85/92
3) Gsell (S), op cit, f , 26, n°102
4) Ibid, f, 26, n° 107
5) Ibid, f, 26, n° 83
6) Baradez (J) , op cit, p, 86 ; Jacquot (L), La frontiere numido setifienne, R.S.A.C., vol. 50 , p, 191

السفوح الشمالية لجبل بوطالب حتى رأس سيسلي، ومنها ينحرف نحو الشمال الغربي، ليمر غرب برج البحيرة[1] ويختفي بعد ذلك.

وقد دعّم هذا الخندق بعدة مراكز عسكرية، ونقاط رصد، في كل الأماكن الاستراتيجية، وبهذا يكون طوله حوالي 150 كلم[2]، يحاصر جبل بوطالب من كل الجهات، ويمنع توجه سكانه نحو السهول العليا في الشمال والحضنة في الجنوب.

المزارعون الجنود

إن كل الأجهزة الدفاعية التي وضعتها روما عجزت في وضع حد لخطر الأهالي، لذلك لجأت إلى تدعيم وحداتها العسكرية النظامية بعدد إضافي من المدافعين عن الحدود، وتمثل ذلك في المزارعين الجنود (Limitanei)، وهم فلاحون استفادوا من قطع أرضية لإستغلالها، مقابل دعم الجيش النظامي في الدفاع عن حدود الإمبراطورية عند الضرورة، خاصة أن أغلبهم من قدماء الجنود[3].

إن هذا التنظيم ليس جديدا، فقد اعتمدت روما في بداية عهد الامبراطورية على قدماء المحاربين الذين وطّنتهم المستعمرات، لتثبت وجودها وتساعد الجيش في الدفاع عن مصالحها، وهو ما يتجلى في قانون هونوريوس(F.Honorius)[4]، وكان الجنود المزارعون يتبعون الحصن، أو المركز، أو المدينة التي يقيمون بها أو بجوارها، لذلك لقّبوا بأصحاب الحصون(Castriani) أو (Castellani)[5].

---

1) Baradez (J.) , loc cit.
2) Ibid
3)Van Berchem (D), L'armée de Diocletien et la reforme constantinienne , Paris, 1955, p. 20
4) Code theodosien , VII, tit , 15
5) Cagnat (R), op cit, p, 739

لقد أوكلت لهم عدة مهام في نفس الوقت، تتمثل في استغلال الأرض المصادرة أو المستصلحة، وتموين السوق بالمنتجات الزراعية، والمساهمة في انجاز الأعمال الكبرى، كمشاريع الري، بالاضافة إلى الدفاع عن الحدود[1]، و بما أنهم مرتبطين بالأرض التي يستغلونها، فإنهم يعدون بمثابة فرق عسكرية ثابتة تحرر الوحدات العسكرية النظامية من مهمة المراقبة، وتسمح لهم بالتنقل والتدخل بعيدا عن قواعدها[2].

وللحفاظ على هذا الجهاز، فرضت السلطة على المنتمين له عدم توريث أرضهم إلا لمن يواصل أداء نفس المهام الحرفية والعسكرية. ومع تدهور أوضاع الإمبراطورية إرتبط هؤلاء المزارعون وأبناءهم بالأرض التي استفادوا منها، وهو ما سيتحول مستقبلا إلى نظام القنانة.

لقد اختلفت الأراء حول تاريخ ظهور هذا التنظيم ، إذ يستنتج مما جاء في كتاب "حياة ألكسندر" (Vita Alexandri)، أن هذا التنظيم يعود إلى عهد الإمبراطور ألكسندر سيفروس[3]، بينما يرى البعض الآخر أنه ظهر قبل ذلك في مقاطعتي نوميديا وموريطانيا، بسبب الظروف الطبيعية السائدة جنوبهما، والتي لم يكن من الممكن التحكم فيها بصورة جيدة إلا بإقامة فرق عسكرية ثابتة، ولهذا لجأ الرومان إلى استصلاح الأراضي وتوطين معمرين يتولون مهمة الدفاع عنها عند الضرورة[4].

وقد تطور هذا الجهاز الدفاعي على يد الإمبراطور ديوقلسيانوس[5] حتى حتى أصبح لا يختلف في تنظيمه عن الجيش النظامي ، إلا فيما يتعلق بالعناصر

---

1) Baradez (J) , op cit, p, 156
2) Ibid
3) Aelius Lampride , Histoire auguste , Severe Alexandre , LVIII, trad. M.Laass d'Aguen, C.L.F. Panckoucke, Paris, 1847
4) Van Berchem (D), op cit, p, 41
5) Ibid

المكونة له كما وقع توزيع أفراده على القطاعات الواجب الدفاع عنها تحت إمرة ضابط الحدود (Praepositus limitum)[1] الذي خضع إلى حاكم المقاطعة في عهد الحكم الرباعي، وإلى سلطة دوق مقاطعة إفريقيا فيما بعد[2] .

يظهر أن هذا الجهاز حقق بعض النتائج الإيجابية لذلك أولته السلطة إهتماما بالغا وخصّته بعدة قوانين تحدد واجبات وحقوق المزارعين الجنود ، منها منحهم الثيران والعبيد لتسهيل استغلالهم الأرض[3]. وفي المقابل تحميلهم مسؤولية الدفاع عن القطاع المخصص لهم. فقد ورد في قانون تودوزيوس (Theodosius) الإمبراطوران هونوريوس وتيودوز إلى غودنسيوس (Gaudentius) وكيل إفريقية، لقد علمنا أن أراض منحت إلى حلفائنا بغرض ضمان صيانة وحماية الليمس والخندق، شغلت أحيانا من طرف أشخاص عاديين، ليعلم جيدا الذين يسعون إلى إشباع رغباتهم الجشعة، بالإستيلاء على هذه الأراضي، أن عليهم التفاني في عملهم لصيانة الخندق، وحماية الليمس مثل الذين كلفهم بها العهد القديم. إن لم ينفذ هذا الشرط، ليعلموا أن أبسط العقوبات التي تسلط عليهم تكون تحويل هذه الأملاك إلى حلفاء إذا وجدناهم، أو على الأقل، وهذا مؤكد إلى قدماء الجنود حتى لا تهمل الإجراءات، ونخشى أي خطر في أي جزء من الخندق و الليمس."

إنجر في رافن III كالند لشهر ماي تحت قنصلية هونوريوس الثالث وتيودوز الثاني في 29 أفريل 409[4].

يتضح مما سبق أن روما سخّرت كل الإمكانيات البشرية و المادية للحفاظ على منطقة الهضاب العليا الشرقية وحمايتها من كل الإخطار التي تهددها، وهذا

---

1) Ibid, pp, 39/40
2) Ibid
3) Aelius Lampride , Severe Alexandre , LVII
4) Code Theodosien , VII, 15, 1

لدورها المهم في تموين روما بالمواد الغذائية، وعلى رأسها القمح الذي يكون الغذاء الأساسي للمواطنين الرومان، والذي سجل انتاجه تراجعا محسوسا في شبه جزيرة إيطاليا، نتيجة التأثيرات السلبية للتوسع الروماني في حوض البحر الأبيض المتوسط. وقد نوعت روما أجهزتها للدفاع على مكتسباتها في نوميديا وكيفتها مع الظروف الطبيعية والبشرية للمنطقة. وقد نجحت في البداية في مسعاها، حيث وصلت حتى جنوب الأطلس الصحراوي وضمنت التموين بالمواد الغذائية الأساسية، لكن ذلك لم يدم طويلا، حيث توسع نطاق الثورات ابتداء من القرن القرن، مما أدخل روما في فترة عدم استقرار لم تنته إلا بوصول القائد ديوقلسيانوس إلى العرش الإمبراطوري وتبنيه سياسة جديدة أعطت نتائج إيجابية في البداية لكن الوضع ساء من جديد، واستمر ذلك حتى الغزو الوندالي واستغلال الأهالي الوضع ليثورا ويعلنوا انفصالهم عن السلطة الرومانية بإعلانهم عن قيام عدة إمارات، وبذلك دخلت نوميديا والمغرب القديم في مرحلة جديدة.

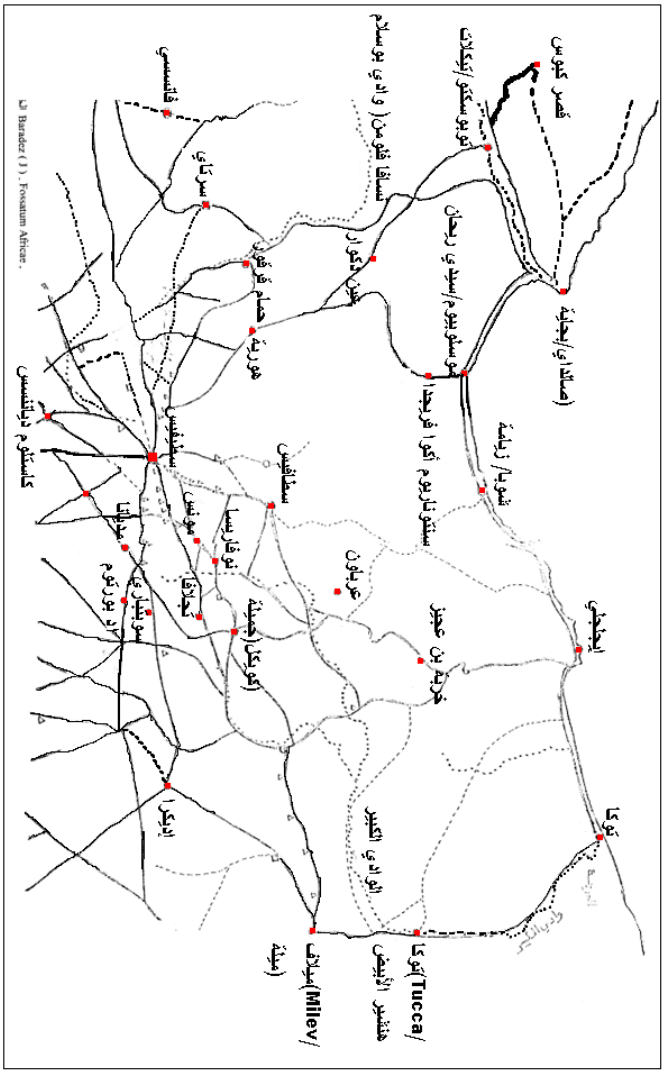

شبكة الطرقات في شمال السهول العليا الشرقية،

Baradez ( ) . Fossatum Africae . Carte annexe

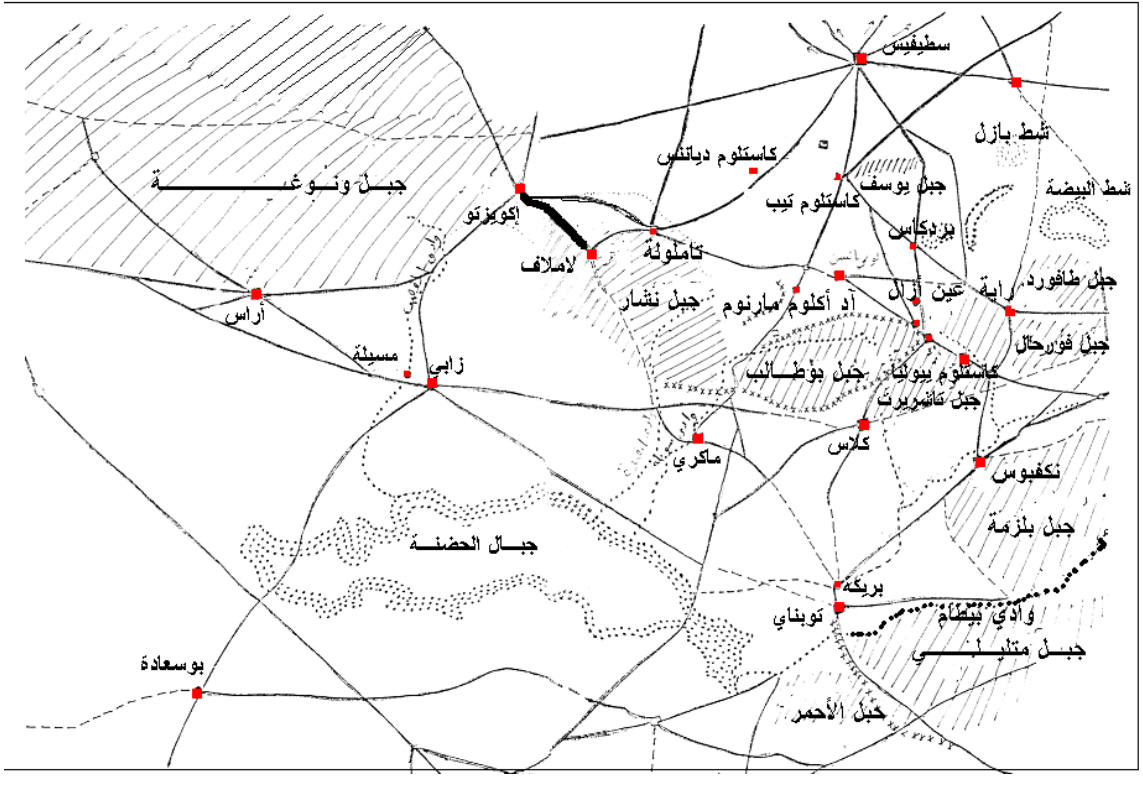

شبكة الطرقات و المراكز الدفاعية في جنوب السهول العليا الشرقية،

Barades (J) Fossatum Africae , carte annexe

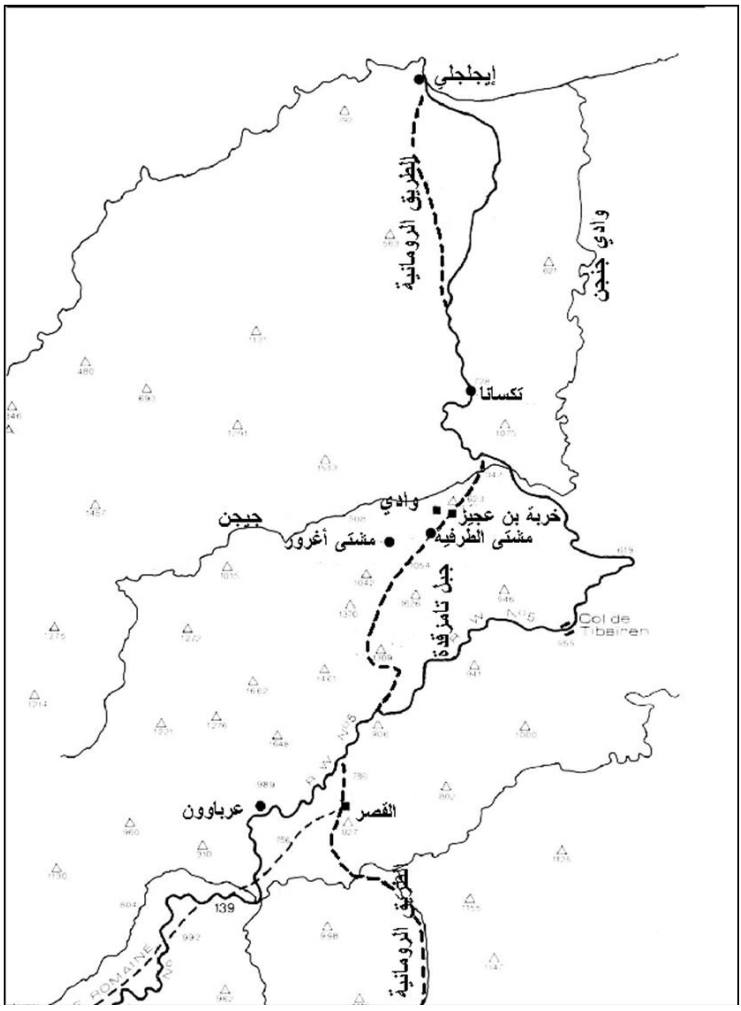

نموذج من الطرقات الرومانية في العهد الروماني بين سطيف و إيجلجلي

Fevrier (P.A.), Les voies romaines de Sitifis à Igilgili. Un exemple de politique routière approfondie
In: Antiquités africaines, 16,1980.

البيبليوغرافيا:

شنيتي (م.ب.)، موريطانيا القيصرية، دراسة الليمس ومقاومة المور، أطروحة دكتوراه الدولة، الجزائر، 1992.

Aelius Lampride , Histoire auguste , Severe Alexandre, LVIII, trad. C.L.F. Panckoucke , Paris, 1847.

M.Laass d'Aguen, Code Theodosien

Julius Honorius, edit, Geographh latini manores, edit.Riese.

Notitia Dignitatum, occid.XXV.

Cagnat (R), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs , Paris, 1909

Despois (J), Le Hodna Etude géographique , Paris, 1953

Ginther (P), L'occupation romaine de l'Afrique du nord de la region de Setif, Constantine, 1940.

Gsell (S.), Atlas Archéologique d'Algerie, Alger , 1997

Reygasse (M) , Recherches des antiquités dans le nord de l'Afrique , Paris,1890

Van Berchem (D), L'armée de Diocletien et la reforme constantinienne, Paris, 1955.

Dictionnaire universelle des noms propres , Paris, 1987

A.E. 1937.

Jacquot (L), La frontiere numido setifienne, R.S.A.C., vol. 50

Leschi(L),Excursion archéologique dans le Guergour (été 1938), Etude d'epigraphie d'archéologie et d'histoire, Paris, 1957

Poule (A), A travers la Mauretanie Setifienne, R.S.A.C., n° 7, 1863

Poule (A), Inscription de la Mauretanie et de la Numidie, R.S.A.C.,1876/77.

Salama (P) , Les voies romaines de Sitifis à Igilgili , un exemple de politique routiere approfondie , An.af., t, 16, 1980.